١ـ حذف حركة الإعراب

قال تعـــالى : ﴿¾ÍÎd'Î ïz)Î àÄ¡ 9$ãƒJ‰ƒÍ‚<ïtƒ ¨Šr ÃÄ¡ 9$•ƒBr ÇÚ öF{$'Î#Y‰ƒÍ‚7Ï$﴾ (١).

قال الفراء : « وقوله : "ومكر السيء" الهمزة في "السَّيِّءِ" مخفوضة ، وقـــد جزمهـــا الأعمش وحمزة(٢) ؛ لكثرة الحركات ، كما قال : ﴿ Ÿ2 F{$#“ÿ‰ƒÍ‚ïtƒ ¨Š﴾(٣) ، وكما قال الشاعر(٤) :

إذا اعْوَجَجْنَ قُلتُ صاحبْ قوِّم

يريد : "صاحبِ قوِّم" ، فجزم الباء ؛ لكثرة الحركات . قال الفراء : حدثني الرؤاسي عن أبي عمرو بن العلاء : "لا يحزُنْهم" جزم(٥)»(٦).

---

(١) فاطر : آية ٤٣.

(٢) قرأ حمزة بإسكان الهمزة ، وقرأ باقي السبعة بكسرها .

السبعة ٥٣٥-٥٣٦، والتيسير ١٨٢. وقراءة حمزة رويت عن الأعمش وأبي عمرو بن العلاء والكسائي في : النشر ٣٥٢/٢، وإتحاف فضلاء البشر ٣٩٤/٢.

(٣) الأنبياء : من الآية ١٠٣.

(٤) من الرجز ، يعزى لأبي نخيلة حزن بن زائدة بن لقيط ، في : ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٣٩، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٣٩٨/٢، وضرائر الشعر ٩٦-٩٧، والبيت غير منسوب في : الكتاب ٢٠٣/٤، ومعاني القرآن للأخفش ١٠٠/١، ومعاني القرآن وإعرابه ١٣٦/١، ٢٧٥/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣٧٧/٣، والتنبيه على حدوث التصحيف ٧٨، والحجة ٨٠/٢، ٣٢/٦، والخصائص ٧٥/١، ٣٤٢/٢. ويروى البيت : إذا اعوججن قلت صاح قوّم" في : معاني القرآن وإعرابه ١٣٧/١، ٢٧٥/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣٧٨/٣، وما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٢-١٤٣.

(٥) قراءة إسكان النون لم أجدها فيما بين يدي من المصادر ، وابن أبي عبلة يقرؤها بضم الياء وإسكان النون . ينظر : شواذ القراءات ٣٢٢.

(٦) معاني القرآن ٣٧١/٢، وينظر : ١٢/٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

استشكل جماعة من النحويين قراءة الأعمش (ت١٤٨هـ) وحمزة (ت١٥٦هـ) : "ومكر السيءْ" بإسكان الهمزة ؛ فذهب الطبري[١] (ت٣١٠هـ) والزجاج[٢] (ت٣١١هـ) والأزهري[٣] إلى أنها لحن ؛ لأن حذف حركة الإعراب لا يجوز عندهم في سعة الكلام.

ونزّه بعضهم الأعمش عن أن يكون قرأ بها ، وأنّه إنما كان يقف على "مكر السيء" ، فغلط الراوي عنه ، ثم تابع حمزة الراوي في الغلط ، قالوا : ويدل على ذلك أنّ قوله : "ومكر السيء" تمام الكلام فحسن الوقف ، بخلاف قوله : "ولا يحيق المكر السيء" لّما لم يكن تمام الكلام أعربه ، والحركة فيه أثقل منها في قوله : "ومكر السيء" ؛ لأنّها ضمة بين كسرتين[٤] .

وذهب الزمخشري (ت٥٣٨هـ) إلى أنّ حمزة لم يكن يقرأ بالإسكان ، وإنّما كان يختلس الحركة ، أو أنه كان يقف وقفة خفيفة ، فظن أنّه يسكن في الوصل[٥] ، واختار أبو شامة ذلك (ت٦٦٥هـ) ، يقول : « وعندي أنّه أسكنه وقفًا ، فظن الراوي أنّه يفعل ذلك وصلاً»[٦].

وأكثر النحويين على أنّ القراءة صحيحة ليست بلحن، وقد ذكروا فيها توجيهين، أحدهما للفراء :

توجيه الفراء :

ذهب الفراء إلى أنّ حركة الإعراب حذفت لكثرة الحركات ، ومراده جعل "يء ولا"

---

(١) جامع البيان ٢٢/١٤٥-١٤٦.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٧٥.

(٣) علل القراءات ٢/٥٦٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٧٧، ومفاتيح الأغاني ٣٤١-٣٤٢.

(٥) الكشاف ٣/٣١٢.

(٦) إبراز المعاني ٦٥٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

من قوله : "ومكر السيء ولا يحيق" بمنزلة "إبل" في تسكين الحرف الثاني قصد التخفيف لتوالي كسرتين ، يقول الفراء : « إنّما يستثقلون كسرة بعدها ضمة ، أو ضمة بعدها كسرة ، أو كسرتين متواليتين ، أو ضمتين متواليتين . فأمّا الضمتان فقوله : "لا يحزنهم" جزموا النون ؛ لأنّ قبلها ضمة ، فخففت كما قيل : "رُسْل" ، فأما الكسرتان فمثل قوله : "الإبْل" إذا خففت ...»[١].

وما ذهب إليه هو من إجراء المنفصل مجرى المتصل[٢] ، وحسّن الحذف في القراءة أنّ الكسرة على حرف الهمزة ، وهو حرف ثقيل ، وقبل الياء المكسورة ياء ساكنة[٣].

وهذا التوجيه اختاره مكي[٤] (ت٤٣٧هـ) والأنباري[٥] (ت٥٧٧هـ) والمنتجب[٦] (ت٦٤٣هـ) ، واقتصر عليه ابن خالويه[٧] (ت٣٧٠هـ) وأبو زرعة[٨] (ت بعد ٤٠٠هـ) وابن عطية[٩] (ت٥٤١هـ)، وجوّزه الفارسي[١٠] والباقولي[١١] (ت٥٤٣هـ) والسخاوي[١٢] (ت٦٤٣هـ) وغيرهم[١٣].

---

(١) معاني القرآن ٢/١٢.
(٢) البحر ٧/٣١٩.
(٣) الكشف ٢/٢١٢، والدر ٩/٢٤١.
(٤) الكشف ٢/٢١٢.
(٥) البيان ٢/٢٨٩.
(٦) الفريد ٤/٩٥.
(٧) إعراب القراءات السبع ٢/٢٢٧.
(٨) حجة القراءات ٥٩٤.
(٩) المحرر ١٣/١٨٢.
(١٠) الحجة ٦/٣٢.
(١١) كشف المشكلات ٢/١١١٠-١١١١.
(١٢) فتح الوصيد ٤/١١٩٨.
(١٣) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : غرائب التفسير ٢/٩٥٢، والكشاف ٣/٣١٢، والموضح ٣/١٠٦٥-١٠٦٦، ومفاتيح الأغاني ٣٤١، والتبيان ٢/١٠٧٧، والبحر ٧/٣١٩، والدر ٩/٢٤١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

واستدل الفراء لحذف حركة الإعراب بما رواه عن الرؤاسي عن أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤) أنّه سكن نون "لا يحزنْهم" من قوله تعالى : « لا يحزنُهم الفزع الأكبر »، كما استدل الفراء بقول الشاعر :

إذا اعوججن قلتُ صاحبْ قوِّم

واستدل غير الفراء ممن جوّز حذف حركة الإعراب تخفيفًا بشواهد عديدة(١) ، منها غير ما تقدم قولُ الشاعر(٢) :

فاليوم أشربْ غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل

وقول الشاعر(٣) :

رُحت وفي رجليك ما فيهما وقد بدا هنْك من المئزر

وعلل الفارسي تنزيل حركة الإعراب منزلة غير حركة الإعراب نحو الباء في "إبل" في

---

(١) المحتسب ١/ ١٠٩، وشرح التسهيل ١/٥٨، وارتشاف الضرب ٢/٨٥٠، وهمع الهوامع ١/١٨٧.

(٢) من السريع ، لامرئ القيس في : ديوانه ١٢٢، ٢٥٨، والكتاب ٤/٢٠٤، ومعاني القرآن للأخفش ١/١٠٠، والأصمعيات ١٣٠، والنوادر لأبي زيد ١٨٧، وإصلاح المنطق ٢٤٥، والكامل ١/٣١٨، وما يحتمل الشعر من الضرورة ١٣٨-١٣٩، والتنبيهات ١١٦، والخصائص ١/٧٥، والمحتسب ١/١١٠، والخزانة ٤/١٠٥-١٠٦، ٨/٣٥٠.

وللبيت روايتان لا شاهد فيهما ، إحداهما : "فاليوم أسقى" في الديوان ١٢٢، والكامل ، والأخرى : "فاليوم فاشرب" في الديوان ٢٥٨، والنوادر ، وإصلاح المنطق.

المستحقب : المكتسب . والواغل : الداخل على القوم يشربون و لم يدع.

(٣) من السريع ، للأقيشر الأسدي في : ديوانه ٤٣، والتنبيه على حدوث التصحيف ٧٧، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢/٣٩٠-٣٩١، وعزي إلى الفرزدق في أمالي ابن الشجري ٢/٢٣٥، وليس في ديوانه ، كما عزي إلى ابن قيس الرقيات في ضرائر الشعر ٩٥، وليس في ديوانه.

والبيت غير منسوب في : الكتاب ٤/٢٠٣، ومعاني القرآن للأخفش ١/٩٩، وما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٠، والحجة ٨٠، والخصائص ١/٧٥، والمحتسب ١/١١٠.

ويروى البيت : "وقد بدا ذاك من المئزر" ، ولا شاهد فيها . ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٣، والمحتسب ١/١١١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جواز الحذف تخفيفًا بأنّ حركة غير الإعراب نزلت منزلة حركة الإعـــراب في نحـــو : "رُدَّ" و"فِرَّ" و"عَضَّ"[١].

كما استدل السيرافي[٢] (ت٣٦٨هـــ) والفارسي[٣] وابن عصفور[٤] (ت٦٦٩هـــ) لجواز حذف حركة الإعراب بأنّ المعنى لا يختل بحذفها ، فإنّها تحذف في الوقف وعنـــد إرادة الإدغام باتفاق النحويين ويكون المعنى مفهومًا.

التوجيه الثاني :

أنْ يكون إسكان همزة "السيء" من إجراء الوصل مجرى الوقف .

وهذا التوجيه هو أحد قولي الفارسي[٥]، واقتصر عليه المهدوي[٦] (ت نحو ٤٤٠هـــ)، وجوّزه الواحدي[٧] (ت٤٦٨هـــ) والباقولي[٨] وأبو حيان[٩] (ت٧٤٥هـــ) وغيرهم[١٠].

واستدل الفارسي لحمل القراءة على هذا الوجه بأمرين :

أ ـــ ما ورد من إجراء الوصل مجرى الوقف في تضعيف الحرف الذي قبل حرف الإطلاق في الشعر مع أنّه ليس موقوفًا عليه[١١].

---

(١) الحجة ٦/٣٢.

(٢) ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٤.

(٣) الحجة ٦/٣٢-٣٣.

(٤) ضرائر الشعر ٩٥-٩٦.

(٥) الحجة ٦/٣١.

(٦) شرح الهداية ٢/٤٨٣-٤٨٤.

(٧) الوسيط ٣/٥٠٨.

(٨) كشف المشكلات ٢/١١١١.

(٩) البحر ٧/٣١٩.

(١٠) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : غرائب التفسير ٢/٩٥٢، والموضح ٣/١٠٦٥، ومفاتيح الأغاني ٣٤١، والتبيان ٢/١٠٧٧، والدر ٩/٢٤١.

(١١) الحجة ٦/٣١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ب ـــ ما ورد عن بعض العرب من إبدال الألف واوًا أو ياء في الوقف ثم إجرائهم الوصل مجرى الوقف في بقاء الإبدال ، فيقولون في مثل "أفعى" : "أفعو" و"أفعـــي" وصـــلاً ووقفًا ، والهمزة تشبه الألف ؛ فإنهما حرفا علة ، وبعض العرب يبدل الألف همزة في الوقف(١).

وقد نسب سيبويه اللغة التي حكاها الفارسي إلى طيّئ(٢).

هذا ما قيل في القراءة، وظاهر منه اختلاف النحويين في جواز حذف حركة الإعراب؛ إذ للنحويين في جواز حذف حركتي الإعراب الضمة والكسرة ثلاثة مذاهب :

الأول : جواز حذف حركتي الإعراب الضمة والكسرة في ضرورة الشعر ، وإلى هذا ذهب سيبويه(٣) والسيرافي(٤) والفارقي(٥) (ت٤٨٧هـــ) وابن عصفور(٦) وغيرهم(٧).

واستدل هؤلاء بالسماع والقياس :

أما السماع فمضى طرف منه في توجيه الفراء كقول الشاعر :

فاليوم أشربْ غير مســـتحقب إثمًـــا مـــن الله ولا واغـــل

وقول الشاعر :

رُحت وفي رجليك ما فيهمـــا وقد بدا هنْـــك مـــن المئـــزر

وأمّا القياس فإنّ النحويين اتفقوا على جواز ذهاب حركة الإعراب للإدغام ، فكمـــا

---

(١) الحجة ٦/٣١-٣٢.

(٢) الكتاب ٤/١٨١.

(٣) الكتاب ٤/٢٠٣-٢٠٤.

(٤) ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٣٩-١٤٤.

(٥) الإفصاح ٨٠.

(٦) شرح جمل الزجاجي ٢/٥٨٢، وضرائر الشعر ٩٣-٩٦.

(٧) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : علل القراءات ٢/٥٦٠، وما يجوز للشاعر في الضرورة ١٨٦-١٨٧، وشرح الكافية للرضي ٤/٢٥، وموارد البصائر ١٨٢-١٨٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جاز ذهابها للإدغام فكذلك ينبغي ألا ينكر ذهابها للتخفيف[١].

وألحق ابن عصفور حركة الإعراب الفتحة بالضمة والكسرة في جواز حذفها للضرورة، لكنّه جعلها ضرورة قبيحة[٢].

الثاني : جواز حذف حركتي الإعراب الضمة والكسرة مطلقًا في الشعر والنثر ، وإلى هذا ذهب ابن مالك[٣] (ت٦٧٢هـ) وجماعة من النحويين[٤] ، وهو أيضًا مذهب الفراء وابن خالويه والفارسي وابن جني (ت ٣٩٢هـ) وكثير من النحويين والمعربين الذين لم يلحنوا قراءة حمزة : "ومكر السيء" وما يماثلها مما حذف فيها حركة الإعراب كقراءة أبي عمرو بن العلاء : « إنّ الله يأمرْكم أنْ تذبحوا بقرة »[٥] بإسكان الراء من "يأمركم".

وقراءته : « فتوبوا إلى بارئْكم »[٦] بإسكان الهمز من "بارئكم"[٧].

ووافق السيرافي وابن عصفور أصحاب هذا المذهب إذا اتصل بالفعل أو الاسم الضمير

---

(١) ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٤، وضرائر الشعر ٩٦.

(٢) شرح جمل الزجاجي ٢/٥٨٤.

(٣) شرح التسهيل ١/٥٨.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التذييل والتكميل ١/٢١٧، والمساعد ١/٣٧، وشفاء العليل ١/١٣١، وتعليق الفرائد ١/١٨٢-١٨٤، ونتائج التحصيل ١/٣٤٥-٣٤٧.

(٥) البقرة : من الآية ٦٧.

(٦) البقرة : من الآية ٥٤.

(٧) قرأ أبو عمرو من طريق العراقيين وغيرهم بالإسكان في "بارئكم" و"يأمركم" [من الآية ٦٧ ، ٩٣، ١٦٩، ٢٦٨ من البقرة ، ومن الآية ٨٠ من آل عمران ، ومن الآية ٥٨ من النساء] ، و"يأمرهم" [من الآية ١٥٧ من الأعراف]، و"تأمرهم" [من الآية ٣٢ من الطور] ، و"ينصركم" [من الآية ١٦٠ من آل عمران ، ومن الآية ٢٠ من الملك] ، و"يشعركم" [من الآية ١٠٩ من الأنعام] .

وقرأ من طريق البغداديين بالاختلاس في هذه المواضع كلها.

التيسير ٧٣، والإقناع ١/٤٨٥-٤٨٦، وفتح الوصيد ٣/٦٣٢-٦٣٣، والنشر ٢/٢١٢-٢١٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

نحو قوله تعالى : « إنّ الله يأمركم » ، وقوله تعالى : « وبعولتْهن أحق بردهن في ذلك »[١] ، فقد نقل السيرافي عن قوم من النحويين أنّ تسكين لام الفعل لغة كثير من العرب[٢].

وذكر ابن عصفور أنّ الذي حسّن مجيء هذا التخفيف في السعة شدة اتصال الضمير بما قبله ، فصار التخفيف لذلك كأنّه وقع في كلمة واحدة ، والتخفيف في الكلمة نحو "عضْد" في "عضُد" سائغ في حال السعة ؛ لأنّه لغة لقبائل ربيعة[٣].

الثالث : منع ذلك مطلقًا ؛ لأنّ حركة الإعراب إنّما جيء بها للفرق بين المعاني ، وإلى هذا ذهب المبرد[٤] (ت٢٨٦هـ) والزجاج[٥] والأخفش الصغير[٦] (ت٣١٥هـ) وابن السراج[٧](ت٣١٦هـ).

ولم يقبل هؤلاء بما بلغهم من السماع ؛ فقد روى المبرد ما استشهد به سيبويه وغيره بروايات لا يتحقق فيه الشاهد ، فقول امرئ القيس : "فاليوم أشربْ" رواه : "فاليوم أسقى" ، أو "فاليوم فاشرب"[٨] ، وقول الشاعر : "وقد بدا هنْك" رواه : "وقد بدا ذاك"[٩]. وقال الزجاج عن قراءة أبي عمرو بن العلاء : « فتوبوا إلى بارئكم » إنّما هي باختلاس الكسر

---

(١) البقرة : من الآية ٢٢٨. وقرأ بإسكان التاء مسلمة بن محارب.
شواذ ابن خالويه ٢١ ، والمحتسب ١/١٢٢، وشواذ القراءات ٩١.

(٢) ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٥.

(٣) ضرائر الشعر ٩٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٧٧، وما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٢، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/٥٨٤، والتذييل والتكميل ١/٢١٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/١٣٦-١٣٧، لكنّ الزجاج في موضع آخر من كتابه ذهب إلى أنّ حذف حركة الإعراب يجوز في ضرورة الشعر . ينظر : ٤/٢٧٥.

(٦) النوادر لأبي زيد ١٨٨، وخزانة الأدب ٨/٣٥٢.

(٧) الأصول ٢/٣٦٥.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١/١٣٦-١٣٧، ٤/٢٧٥، وما يحتمل الشعر من ضرورة ١٤٣.

(٩) ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٤٣، والمحتسب ١/١١١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وليست بالإسكان ، ومن رواها بالإسكان فهو ممن لا يضبط النحو ضبط سيبويه والخليل ، وإنّما رواها سيبويه باختلاس الكسر[١].

والراجح عندي مذهب من أجاز حذف حركة الإعراب مطلقًا في الشعر والنثر ؛ لأنّ السماع جاء بذلك في أفصح الكلام ، فإنّه جاء في سبع عشرة قراءة سبعية[٢] خلا القراءات الشاذة؛ فإنها كثيرة[٣] ، كما أنّ تسكين لام الفعل إذا اتصل بها الضمير لغة مروية عن العرب، عزاها أبو عمرو بن العلاء إلى تميم[٤] ، وعزاها الفراء إلى تميم وأسد وبعض النجديين[٥].

وبهذا فلا التفات إلى قول الزجاج السابق في قراءة : « فتوبوا إلى بارئكم » ؛ لأنّها ليست وحدها التي حذفت فيها حركة الإعراب ، فإنّ بعض القراءات لم ترو إلا بالإسكان[٦]، كما أنّ قراءة : « فتوبوا إلى بارئكم » بالإسكان مروية برواية صحيحة عن أبي عمرو ؛ لأنّ القراء الذين نقلوا الإسكان في "بارئكم" قد نقلوا الاختلاس ، وليس مقبولاً أن يكونوا أساؤوا السمع عن أبي عمرو في الأولى ، ولم يسيئوه في الثانية[٧].

وأمّا رواية المبرد للشواهد في هذا الباب بروايات لا شاهد فيها ليدفع جواز حذف حركة الإعراب فغير مقبول منه ؛ لأنّ تلك الروايات رواها سيبويه وغيره من الثقات فيحتج بها ، والبيت يروى بروايات متعددة ، وكلها صالح للاحتجاج.

وقد وصف ابن جني اعتراض المبرد للأبيات التي رواها سيبويه بحذف حركة الإعراب

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٧٥-٢٧٦.

(٢) تنظر القراءات في : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ق٣ /ج١/١٧-١٩.

(٣) بعض هذه القراءات في : المحتسب ١/١٠٩، ١٢٢، ١٩٩، ٢٧٣.

(٤) المحتسب ١/١٠٩، وشرح التسهيل ١/٥٨، وارتشاف الضرب ٢/٨٥٠، وهمع الهوامع ١/١٨٧.

(٥) فتح الوصيد ٣/٦٣٢، والنشر ٢/٢١٣.

(٦) تنظر هذه القراءات في : المحتسب ١/١٩٩، ٢٧٣، والنشر ٢/٢١٤.

(٧) النشر ٢/٢١٤.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بأنّه رد للرواية وتحكّم على السماع بالشهوة وتكذيب لسيبويه فيما رواه عن العرب[١].

وإذا تبين ذلك فلا وجه لمن لحّن قراءة : "ومكر السيء" بالإسكان ، أو نزّه الأعمش عن أن يكون قرأ بها ، وأنّ الراوي غلط ، وتابع حمزة الراوي في الغلط ، أو أنّ حمزة كان يختلس الحركة ، أو كان يقف وقفة خفيفة ، فظُنّ أنّه يسكن في الوصل ؛ لأنّ قراءة الإسكان قراءة سبعية مروية برواية صحيحة ، ثم إنّ حمزة ليس من مذهبه الوقف بالسكون على الهمزة المتطرفة ، بل كان يسهلها[٢] ، وقد روي عنه في الوقف على "السيء" وجهان : أحدهما أن يبدل الهمزة ياء ساكنة ، والآخر أن يقف بياء ساكنة مشدّدة[٣].

وما جاءت عليه القراءة قد ثبت بالسماع في قراءات كثيرة وشواهد عن العرب ، ولها أيضًا من القياس ما يقوّيها[٤].

وأمّا أرجح الوجهين المذكورين في قراءة : "ومكر السيء" فهو توجيه الفراء ؛ لأنّ حمل قراءة حمزة على التوجيه الثاني الذي يجعل الإسكان من إجراء الوصل مجرى الوقف لا يتفق مع مذهبه في الوقف على الهمزة المتطرفة كما سبق[٥].

وذهب أبو شامة إلى أنّ حمزة كان يقف في قوله : "ومكر السيء" بإسكان الهمز ؛ لأنّه لو جرى على مذهبه الأول لأبدل الهمزة ياء ، فتجتمع ثلاث ياءات ، الوسطى منهن مكسورة ، فاستثقل ذلك ، وترك الهمز ساكنًا على حاله ، فهو أخف من إبداله[٦].

قلت: يدفع ما ذهب إليه أبو شامة أنّ القراءة بتسهيل الهمزة مروية عنه بالوجهين السابقين.

---

(١) الخصائص ٢/٧٦، والمحتسب ١/١١٠.

(٢) مذهب حمزة في الوقف على الهمزة المتطرفة في : السبعة ١٣٣، والتذكرة في القراءات الثمان ١/١٤٧، ١٦٢، والتيسير ٣٧.

(٣) الإقناع ١/٤٩١.

(٤) الحجة ٦/٣٣.

(٥) الكشف ٢/٢١٢، والفريد ٤/٩٥.

(٦) إبراز المعاني ٦٥٦.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢ـ إلزام المثنى الألف

قال تعالى : ﴿ $JÜÙèóÅÎNàÆöôÏOà‾èàbèƒèÈ•å»¡9È‹»dèÎ(ÞÃ ﴾ ﴿ 4?#3ßÑàÇ)ƒèÜÎ$7dõƒr ﴾[1].

قال الفراء : « وقوله : ﴿ È•å»¡9È‹»dèÎ ﴾ قد اختلف فيه القراء ؛ فقال بعضهم : هو لحن ، ولكنّا نمضي عليه ؛ لئلا نخالف الكتاب ... فقراءتنا بتشديد "إنّ" وبالألف[2] على جهتين ، إحداهما على لغة بني الحارث بن كعب ، يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف ، وأنشدني رجل من الأسد عنهم ، يريد بني الحارث[3]:

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغًا لناباه الشجاع لصمّما

قال : وما رأيت أفصح من هذا الأسدي ، وحكى هذا الرجل عنهم : "هذا خطٌّ يدا أخي بعينه"... »[4].

قراءة جمهور السبعة : « إنّ هذان لساحران» من القراءات المشكلة الإعراب ؛ لأنّ قياس مثنى اسم الإشارة "هذان" إذا كان منصوبًا أن يكون بالياء، وقد روي عن أبي عمرو ابن العلاء تلحين القراءة ، وأنّه يقول : « إنّي لأستحي من الله أن أقرأ : "إنّ هذان"»[5]، وكان

---

(١) طه : آية ٦٣.

(٢) قرأ بتشديد "إنّ" نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بن عياش ، وقرأ بالتخفيف عاصم في رواية حفص وابن كثير غير أنّه يشدد النون من "هذان" ، وقرأ أبو عمرو بن العلاء : "إنّ هذين" .
السبعة ٤١٩، والتبصرة ٥٩٢، والتيسير ١٥١.

(٣) من الطويل ، للمتلمس في : ديوانه ٣٤، والأصمعيات ٢٤٦، والحيوان ٢٦٣/٤، ولبعض بني الحارث بن كعب كما عزاه الفراء في : جامع البيان ١٨٠/١٦، وغير منسوب في : معاني القرآن وإعرابه ٣٦٢/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٤٥/٣، وسر صناعة الإعراب ٧٠٤/٢.
ويروى في الأصمعيات والحيوان: "لنابيه"، ولا شاهد فيه. والمساغ: المدخل. و"صمّما": عضّ، فلم يرسل ما عض.

(٤) معاني القرآن ١٨٣/٢-١٨٤.

(٥) الجامع ٢١٦/١١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٥٠/١٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

يقرؤها : "إنّ هذين" ، يقول الفراء : « وقرأ أبو عمرو : "إنّ هذين لساحران" ، واحتج أنّه بلغه عن بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنّه قال : إنّ في المصحف لحنًا ، وستقيمه العرب »[١]. كما روى الفراء بسند عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أنّها سئلت عن قوله تعالى : « إنّ هذان لساحران» وآيات أخر ، فقالت : « يابن أخي ، هذا كان خطأ من الكاتب »[٢].

وهذه الروايات التي رواها الفراء وغيره عن بعض الصحابة قد أبطلها العلماء سندًا ومتنًا ، فلا يلتفت إليها[٣].

وقد اختلف النحويون في توجيه هذه القراءة ، وقد وقفت لهم فيها على تسعة توجيهات ، للفراء منها توجيهان:

توجيه الفراء الأول :

أنّ هذه القراءة جاءت على لغة بعض العرب الذين يلزمون المثنى الألف في الرفع والنصب والجر.

وتوجيه الفراء هذا عزي إلى الكسائي[٤] وأبي زيد الأنصاري[٥] (ت٢١٥هـ) ، واختاره الطبري[٦] والنحاس[٧] (ت٣٣٨هـ) والفارسي[٨] وابن جني[٩] وكثير من

---

(١) معاني القرآن ١٨٣/٢.

(٢) معاني القرآن ١٨٣/٢.

(٣) شرح الهداية ٢١٩/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٥٢/١٥-٢٥٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٥/٣، والجامع ٢١٧/١١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤٥/٣، والمسائل المنثورة ٦٩.

(٦) جامع البيان ١٨٢/١٦.

(٧) إعراب القرآن ٤٦/٣.

(٨) الحجة ٢٣١/٥.

(٩) سر صناعة الإعراب ٧٠٦/٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

النحويين[١] ، واقتصر عليه الأخفش[٢] (ت٢١٥هـ) وجماعة من النحويين[٣].

واللغة التي حملت عليها القراءة عزيت إلى قبائل عديدة ، أشهرها بنو الحارث بن كعب[٤] ، وعزاها أبو الخطاب الأخفش (ت١٧٧هـ) إلى كنانة[٥] ، وعزاها الكسائي إلى خثعم وزبيد ومن في نواحيهم[٦] ، وعزاها ابن قتيبة (ت٢٧٦) إلى بطون من ربيعة[٧]، كما عزيت إلى بني الهجيم وبني العنبر[٨] ومراد وعذرة[٩] وبكر بن وائل[١٠] وفزارة[١١].

واستدل الفراء لحمل القراءة على هذه اللغة بثلاثة أدلة :

١ـ السماع : فقد سمع ذلك عنهم شعرًا ونثرًا ، أمّا الشعر فقول الشاعر :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغًا لناباه الشجاع لصمّما

وأمّا النثر فقول بعض بني الحارث : "هذا خطُّ يدا أخي بعينه".

٢ـ أنّ هذه اللغة أقوى في القياس من اللغة المشهورة ؛ لأنّ العرب يتبعون الحرف الذي قبل النون في جمع المذكر السالم حركة ما قبله، فإن كانت الحركة ضمة جاءت الواو،

---

(١) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : البيان ١٤٤/٢، والتفسير الكبير ٧٥/٢٢، وشرح المفصل لابن يعيش ١٣٠/٣، وشرح الكافية الشافية ١٨٨/١، والتذييل والتكميل ٢٤٨/١.

(٢) معاني القرآن ٤٤٤/٢.

(٣) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : شرح عيون كتاب سيبويه ٢٤، والإفصاح ٣٧٧، والمفصل ١٧١، وشفاء العليل ١٣٨/١.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٤٤٤/٢، والنوادر لأبي زيد ١٦٩، ٢٥٩، وعلل القراءات ٣٨٧/١.

(٥) مجاز القرآن ٢١/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٦٢/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٤٥/٣.

(٦) البحر ٢٥٥/٦.

(٧) تأويل مشكل القرآن ٥٠. وينظر : سر صناعة الإعراب ٧٠٤/٢.

(٨) شرح الكافية الشافية ١٩٠/١.

(٩) البحر ٢٥٥/٦.

(١٠) التذييل والتكميل ٢٤٧/١-٢٤٨.

(١١) همع الهوامع ١٣٣/١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وإن كانت كسرة جاءت الياء ، أمّا المثنى فإنّ الحرف الذي قبل النون لا يكون ما قبله إلا مفتوحًا ، وعلى هذا فحق الحرف الذي قبل النون في المثنى أن يكون ألفًا دائمًا[١].

وهذه اللغة أقوى في القياس عند النحاس[٢] وابن جني[٣] من وجه آخر ، وهو أنّ الألف هي حرف الإعراب ، وحرف الإعراب حقه ألا يتغير ، وإنّما تغير في التثنية ؛ لإزالة اللبس ، وهذا التعليل إنّما يصح على مذهب سيبويه ؛ فإنّ ألف التثنية عنده هي حرف الإعراب[٤] ، ولا يصح على مذهب الفراء ؛ لأنّ الألف عنده هي الإعراب[٥].

٣ــ أنّ ما جاءت عليه هذه اللغة ــ وهو إلزام المثنى الألف مطلقًا - ليس بغريب؛ فالعرب يلزمون "كلا" و"كلتا" إذا أضيفتا إلى ظاهر الألف في أحوال الإعراب الثلاثة ، وهما مثنيان[٦] ، ولم يخرج عنهم إلا كنانة ؛ فإنّهم يجرونها مجرى المثنى مطلقًا سواء أضيفت لظاهر أم لمضمر[٧].

ولم يرتض ابن خالويه حمل القراءة على هذه اللغة ؛ لأنّها لغة شاذة ، لا يجوز حمل القرآن عليها[٨] ، كما لم يرتض ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) ذلك ؛ لأنّ القرآن نزل بلغة قريش وكتب بلسانها[٩].

---

(١) معاني القرآن ١٨٤/٢.

(٢) إعراب القرآن ٤٦/٣.

(٣) سر صناعة الإعراب ٧٠٢/٢-٧٠٦.

(٤) الكتاب ١٧/١.

(٥) سر صناعة الإعراب ٦٩٥/٢.

(٦) هذا على مذهب الفراء والكوفيين ، أمّا البصريون فيرون أنهما مفردان لفظًا مثنيان معنى . ينظر : معاني القرآن للفراء ١٤٢/٢-١٤٣، والإنصاف م(٦٢) ٤٣٩/٢-٤٥٠، والتذييل والتكميل ٢٥٥/١-٢٦١.

(٧) معاني القرآن ١٨٤/٢.

(٨) إعراب القراءات السبع ٣٦/٢.

(٩) مجموع فتاواه ٢٥١/١٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

توجيه الفراء الثاني :

وهو ما عبّر عنه بقوله : « والوجه الآخر أن تقول : وجدت الألف من "هذا" دعامة ، وليست بلام فعل[١] ، فلمّا ثنيت زدت عليها نونًا ، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول على كل حال ، كما قالت العرب : "الذي" ، ثم زادوا نونًا تدل على الجماع ، فقالوا : "الذين" في رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كما تركوا "هذان" في رفعه ونصبه وخفضه ، وكنانة يقولون : "اللذون" »[٢].

والظاهر أنّ الفراء يريد بقوله السابق أنّ الألف في "هذان" هي ألف "هذا" ، وأنّ النون زيدت للفرق بين المفرد والمثنى كما زيدت النون للدلالة على الجمع في "الذي" فقيل : "الذين" ، والياء ثابتة في جميع أحوال الإعراب[٣].

وحكى ابن جني عن الفراء أنّ "هذان" في القراءة أصلها "هذاين" ، ثم حذف الياء لسكونها وسكون الألف قبلها[٤] ، وما حكاه ابن جني عن الفراء ذهب إليه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) كما سيأتي.

وردّ الفارسي ما ذهب إليه الفراء بأمرين :

١ـ أنّ ألف "هذان" لو كانت هي ألف "هذا" لم تنقلب ياء في النصب والجر.

٢ـ حذف الياء من "الذي" و"التي" في التثنية فيه دلالة على أنّ ألف "هذا" قد حذفت وأتي بعلامة التثنية بدلاً عنها[٥].

---

(١) يريد الفراء أنّ الألف زائدة ؛ لئلا تبقى الكلمة على حرف واحد. ينظر : الإنصاف م(٩٥) ٢/٦٦٩، وارتشاف الضرب ٢/٩٧٤.

(٢) معاني القرآن ٢/١٨٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٤٥، وزاد المسير ٥/٢٩٩.

(٤) الخصائص ٣/٦٧.

(٥) الحجة ٥/٢٣١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الثالث :

أن تكون "إنّ" في القراءة بمعنى "نعم" ، و"هذان" مبتدأ ، خبره "لساحران" ، وهذا التوجيه عزي إلى النحويين القدماء[١] ، كما عزي إلى قطرب[٢] والمبرد[٣] وإسماعيل بن إسحاق القاضي[٤] (ت٢٨٢هـ) والأخفش الصغير[٥].

وهذا التوجيه اعترض له بأمور ، منها :

١ـ أنّ مجيء "إنّ" بمعنى "نعم" لم يثبت إلا شاذًا[٦].

٢ـ أنّ فيه دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ غير المنسوخ ، وذلك ضرورة[٧].

وعندي أنّ الاعتراض الأول ضعيف ؛ لثبوت مجيء "إنّ" بمعنى "نعم" بالسماع شعرًا ونثرًا[٨].

وأمّا الاعتراض الثاني فقد أجيب عنه بأجوبة ، منها أنّ اللام منوي بها التقديم والدخول على المبتدأ[٩] ، أو أنّها دخلت بعد "إنّ" التي بمعنى "نعم" لشبهها لفظًا بـ"إنّ" الناصبة المؤكدة[١٠].

---

(١) مجاز القرآن ٢/٢١، وعزاه إلى بشر بن هلال ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤.

(٢) حجة القراءات ٤٥٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/١٣٠، ومغني اللبيب ٥٧.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤، وشرح المفصل ٣/١٣٠.

(٦) أمالي ابن الحاجب ١/١٥٧، والدر ٨/٦٥، ومغني اللبيب ٥٧.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٦، والحجة ٥/٢٣٠، والموضح ٢/٨٣٨، والبيان ٢/١٤٥، وأمالي ابن الحاجب ١/١٥٧.

(٨) الأدلة في : إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٤، وشرح التسهيل ٢/٣٢-٣٣.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٦، وشرح الهداية ٢/٤١٩.

(١٠) مغني اللبيب ٥٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الرابع :

وهذا التوجيه كسابقه في جعل "إنّ" بمعنى "نعم" غير أنّه يجعل اللام داخلة على مبتدأ محذوف ، والتقدير : "نعم ، هذان لهما ساحران" .

وهذا التوجيه قاله الزجاج واختاره، وذكر أنّه عرضه على المبرد وإسماعيل بن إسحاق، فذكرا أنّه أجود ما قيل في هذه القراءة [١].

والزجاج بتقديره مبتدأ محذوفًا يجعل دخول اللام مستقيمًا ، لكنّ الفارسي اعترض له بأمرين :

١ــ أنّ ما قدّره الزجاج في الآية يمكن تقديره فيما حمله النحويون على الضرورة من أبيات دخلت فيها لام الابتداء على خبر المبتدأ غير المنسوخ ، ولم يفعلوا ، وهذا يدل على بطلان تقديره.

٢ــ أنّ هذا التقدير يؤدي إلى اجتماع الضدين في الكلام ، وهما الحذف والتوكيد ؛ لأنّ المبتدأ المحذوف الذي قدّرت لام الابتداء داخلة عليه لم يحذف إلا للعلم به ، والمحذوف للعلم به لا يليق به التوكيد[٢].

التوجيه الخامس :

أن يكون اسم "إنّ" ضمير الشأن محذوفًا ، وجملة "هذان لساحران" خبر لـ"إنّ" ، وهذا التوجيه يُعزى إلى قدماء النحويين[٣].

وضُعّف هذا التوجيه بأمرين :

١ــ أنّ فيه حذف ضمير الشأن ، وهو اسم "إنّ" ، وذلك لا يجوز إلا في الشعر.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٣.

(٢) الحجة ٥/٢٣٠-٢٣١، والإغفال ٢/١٠١٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٤٦، وعلل القراءات ١/٣٨٨، والبحر ٦/٢٥٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢ــ أنّ فيه دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ غير المنسوخ[١].

التوجيه السادس :

أنّ ألف "هذان" شبهت بألف "يفعلان" ، فجعلت مثلها في الثبات وعدم التغير[٢]، وهذا القول عزي إلى بعض الكوفيين[٣].

التوجيه السابع :

أنّ "هذان" مبنية ، فألفها لازمة ، وعلة بنائها حملها على المفرد والجمع من أسماء الإشارة ، فإنهما مبنيان ، وهذا القول عزي إلى ابن كيسان[٤] (ت٢٩٩هـ) ، واختاره ابن الحاجب[٥] (ت٦٤٦هـ).

التوجيه الثامن :

أن يكون "هذان" أصلها "هذاين" ، ثم حذفت ياء التثنية لسكونها وسكون الألف، وكان حذف ياء التثنية أولى ؛ لأنّ في النون دلالة على التثنية ، أمّا حذف ألف "هذا" فإنّه يؤدي إلى بقاء الاسم على حرف واحد.

وهذا القول لابن فارس[٦] ، ويرد عليه ما أورده الفارسي على توجيه الفراء الثاني، ويزيد عليه ما أورده ابن جني ، وهو أنّ ياء التثنية هي الأولى بالبقاء ؛ لأنّها الطارئة[٧].

---

(١) البيان ١٤٦/٢، وأمالي ابن الحاجب ١٥٨/١، والبحر ٢٥٥/٦.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٦/٣، والمحرر ٨٥/١١، والجامع ٢١٩/١١.

(٣) الجامع ٢١٩/١١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٥٧/١٥.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٦/٣، وإنباه الرواة ٥٨/٣، وهذا القول غير معزو في : شرح الهداية ٤١٨/٢، والبيان ١٤٦/٢.

(٥) أمالي ابن الحاجب ١٥٧/١.

(٦) الصاحبي ٢٩-٣٠. وينظر قوله في : شرح الهداية ٤١٩/٢، والموضح ٨٣٩/٢، ومغني اللبيب ٥٨.

(٧) الخصائص ٦٧/٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه التاسع :

أن تكون الهاء من "هذان" ضمير القصة اسم "إنّ" ، وجملة "ذان لساحران" خبر "إنّ".

وهذا التوجيه ذكره ابن أبي مريم[١] (ت٥٦٥هـ) ، وأبو حيان[٢] والسمين[٣] (ت٧٥٦هـ) وابن هشام[٤] (ت٧٦١هـ) ، وضعّفوه من وجهين :

١ــ أنّ فيه مخالفة لخط المصحف ؛ إذ لو كانت الهاء ضمير القصة لاتصلت بـ"إن" كما في قوله : ﴿ ãÁÍtƒ$ ‘ Jè?ù'sù $¨ΖÏiΒ ﴾[٥].

٢ــ أنّ فيه دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ غير المنسوخ.

هذه هي توجيهات القراءة[٦] ، ويظهر بعد عرضها أمران :

١ــ أنّ توجيه الفراء الثاني لا يعدو أن يكون بيانًا لقياسية اللغة التي حمل عليها القراءة في توجيهه الأول ؛ ذلك أنّ قوله : إن الألف في "هذان" هي ألف "هذا" ، وأن النون هي التي فرقت بين المفرد والمثنى لا يصلح أن يكون تأويلاً للقراءة لو لم يثبت أنّها لغة لبعض العرب.

وما قيل في توجيه الفراء هذا يقال أيضًا في التوجيه السادس والسابع والثامن ، وقد

---

(١) الموضح ٨٤٠/٢.

(٢) البحر ٢٥٥/٦.

(٣) الدر ٦٦/٨.

(٤) مغني اللبيب ٧٧٧.

(٥) الحج : من الآية ٤٦.

(٦) بقي توجيهان واهيان ، هما :

١ــ أنّ فرعون كان لحنة ، فحكى الله لفظه ، وعزي هذا القول إلى جعفر بن محمد الصادق ، ويرده أنّ فرعون لم يتكلم العربية . ينظر : إعراب القراءات السبع ٤٠/٢، وكشف المشكل ٢٢٢/٢.

٢ــ أنّه لما لم يؤثر القول في المقول لهم لم يعمل العامل في المعمول . ينظر : نفح الطيب ٢٦٧/٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أشار أبو شامة إلى ذلك ، وبيّن أنّ هذه الأوجه ونحوها يوردها النحويون على أنّها وجوه في الاحتجاج للقراءة ، وهي في الحقيقة أوجه صالحة لتعليل لغة من يلزم المثنى الألف ، ولو لم يثبت كونها لغة لما ساغ لأحد أن يلزم "هذان" الألف لأجل هذه الأوجه أو بعضها[١].

٢ــ أنّ أحسن ما تحمل عليه القراءة هو أنّها جاءت على لغة بني الحارث بن كعب ومن وافقهم من العرب ، وأمّا إنكار هذه اللغة كما روي عن المبرد[٢] أو القول بشذوذها فيدفعه عزوها من الثقات كأبي الخطاب الأخفش والكسائي والفراء وأبي زيد الأنصاري والأخفش إلى طوائف كثيرة من العرب.

وأمّا قول ابن تيمية : إنّ القرآن لا يجوز حمل شيء منه على غير لغة قريش فهو قول ضعيف ؛ لأنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف[٣] ، وأصح الأقوال في تفسير المراد بها أنّها سبع لغات[٤] ، واختاره كثير من العلماء[٥] ؛ ولذا أفرد المصنفون في علوم القرآن أبوابًا لما جاء في القرآن بغير لغة قريش[٦].

وقد يقال : إنّ لقريش في المثنى لغتين : إحداهما اللغة المشهورة ، والأخرى لغة من يلزم المثنى الألف ، وجاءت هذه القراءة عليها ، ويدل على هذا أنّ ابن الأنباري ذكر أنّ إلزام المثنى الألف لغة لبني الحارث بن كعب وقريش[٧] ، وليس بغريب أن يكون للقبيلة الواحدة لغتان.

---

(١) إبراز المعاني ٥٩٢.

(٢) التذييل والتكميل ١/٢٤٨.

(٣) الأحاديث الدالة على ذلك في : صحيح البخاري ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٦/١٠٠.

(٤) البرهان ١/٢٢٦.

(٥) البرهان ١/٢١٧-٢١٨، والإتقان ١/٦٣.

(٦) البرهان ١/٢٨٣، والإتقان ١/١٧٥.

(٧) زاد المسير ٥/٢٩٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/٢٥٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٣ـ إجراء جمع التكسير مجرى جمع المذكر السالم في الإعراب

قال تعالى : ﴿ Br $? \"9ﻫ«<Ü ﴾[١].

قال الفراء : « وجاء عن الحسن[٢] : "الشياطون" ، وكأنّه غلط من الشيخ ، ظنّ أنّه بمنزلة المسلمين والمسلمون »[٣].

ذهب كثير من النحويين إلى أنّ قراءة الحسن البصري (ت١١٦هـ) : "وما تنزلت به الشياطون" لحن وغلط ؛ لأنّ "الشياطين" جمع تكسير ، فحقه أن يعرب بالحركات ، لكنّ القارئ حين رأى في آخره الياء والنون ظن أنّه جمع مذكر سالم ، فأعربه إعرابه.

وممن ذهب إلى ذلك الفراء وأبو حاتم[٤] (ت٢٥٥هـ) والمبرد[٥] والزجاج[٦] والنحاس[٧] ــ وعزا تلحين القراءة إلى جميع النحويين ــ وابن جني[٨] وغيرهم[٩].

يقول ابن جني : « وهذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمعين عليه »[١٠].

وانتصر جماعة من النحويين للقراءة ، ودفعوا عنها اللحن ، يقول النضر بن شميل

---

(١) الشعراء : الآية ٢١٠.

(٢) قراءة : "الشياطون" عزيت إلى الحسن والأعمش وابن السميفع .
شواذ ابن خالويه ١٠٩، والمحتسب ١٣٣/٢، وشواذ القراءات ٣٥٧، والبحر ٤٦/٧.

(٣) معاني القرآن ٢٨٥/٢. وينظر : ٧٦/٢.

(٤) المحرر ٨٣/١٢، والبحر ٤٦/٧.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ١٩٤/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٠٣/٤.

(٧) إعراب القرآن ١٩٤/٣.

(٨) المحتسب ١٣٣/٢.

(٩) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : جامع البيان ١١٨/١٩، والمحرر ٨٣/١٢، والفريد ٦٦٨/٣.

(١٠) المحتسب ١٣٣/٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

(ت٢٠٣هـ) : « إنْ جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلاّ جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه ـ يريد محمد بن السميفع ـ مع أنّا نعلم أنهما لم يقرأا به إلا وقد سمعا فيه»[١].

وذكر أبو حيان أنّ قراءة "الشياطون" قرأ بها مع الحسن الأعمش وابن السميفع وهؤلاء الثلاثة لا يمكن أن يقال : إنهم غلطوا ؛ لأنّهم من العلم ونقل القرآن بمكان[٢].

وقد ذكروا في القراءة توجيهات ثلاثة :

التوجيه الأول :

أن يكون "شياطون" جمع سلامة لـ"شيّاط" على وزن "فعّال" للمبالغة ، وخففت الياء ، وهذا التوجيه لمؤرج السدوسي[٣] (ت١٩٥هـ) ، ولا يتأتى هذا التوجيه إلا إذا كان الشيطان مشتقًا من "شاط يشيط" .

قيل : ويقويه أنّ الحسن وابن السميفع وغيرهما قرؤوا بتشديد الياء[٤].

التوجيه الثاني :

أنّ زيادة جمع التكسير في "شياطين" تشبه زيادة جمع المذكر السالم نحو : "مسلمين" ؛ لذا أعربت إعرابه، ووجه الشبه بينهما أنّ الياء في كليهما في جمع، وقبلها كسرة، وبعدها نون.

وهذا التوجيه للأخفش[٥] ، واقتصر عليه جماعة من النحويين[٦].

قال أبو حيان : « وهو من التشبيه البعيد الذي يقع نحوه منهم على جهة التوهم»[٧].

---

(١) الكشاف ١٣١/٣. وينظر : البحر ٤٦/٧، والدر ٥٦٢/٨.

(٢) البحر ٤٦/٧.

(٣) الجامع ١٤٢/١٣، والبحر ٤٦/٧، والدر ٥٦٢/٨.

(٤) البحر ٤٦/٧.

(٥) معاني القرآن ١٥/١.

(٦) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التذييل والتكميل ٣٣٢/١، وشفاء العليل ١٥٠/١، وهمع الهوامع ١٦٠/١.

(٧) التذييل والتكميل ٣٣٢/١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الثالث :

أن يكون "شياطين" مما يعرب بالحركات تارة ، وبالحروف تارة أخرى ؛ لأنّ آخره يشبه "يبرين"[١] و"فلسطين" ونحوهما من الملحق بجمع المذكر السالم المسمى به الذي يجوز فيه أن يلزم الياء ، ويعرب بالحركات الظاهرة على النون ، وأن يعرب إعراب جمع المذكر السالم .

وهذا التوجيه اقتصر عليه الزمخشري[٢] ، وجوّزه أبو حيان[٣] والسمين[٤] والألوسي (ت١٢٧٠هـ)[٥].

هذا ما قيل في القراءة ، ويظهر منه أنّ القراءة لها وجه من العربية ، وليست بلحن، ولا سيما أنّ من قرأ بها هم من الأعلام الأثبات ، وقد جاء السماع مؤيدًا لها ؛ فقد ذكر عن يونس بن حبيب أنّه قال : « سمعت أعرابيًا يقول : دخلت بساتين من ورائها بساتون »[٦].

---

(١) ويقال أيضًا : "أبرين" ، وهو اسم لمواضع متفرقة ، منها قرية في البحرين.
معجم البلدان ١/٧١، ٥/٤٢٧.

(٢) الكشاف ٣/١٣١.

(٣) البحر ٧/٤٦.

(٤) الدر ٨/٥٦٣.

(٥) روح المعاني ١٠/١٣٠.

(٦) المحرر ١٢/٨٣، والجامع ١٣/١٤٢، والبحر ٧/٤٦، والدر ٨/٥٦٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٤ـ إجراء الفعل المعتل مجرى الصحيح في الإعراب

قال تعالى : ﴿ ìós7øøs'Î$Ÿ2fìÛ ÑÇ ó>ÎõÑ$ " Ï$7ëÎ Îó‹ Þ‹ é›qã4<Î$Zømr‹ ßø)9r ﴾ ﴿ é´ øB Ïwr ‹Z'Š ã#»ƒB Ïv $T6ƒ ﴾[1].

قال الفراء : « وقد قرأ يحيى بن وثّاب وحمزة[2] : "فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا لا تخفْ دركًا ولا تخشى" بالجزاء المحض.

فإن قلت : فكيف أثبتت الياء في "تخشى"؟ قلت : في ذلك ثلاثة أوجه : إنْ شئت استأنفت "ولا تخشى" بعد الجزم ، وإن شئت جعلت "تخشى" في موضع جزم وإن كان فيها الياء ؛ لأنّ من العرب من يفعل ذلك ، قال بعض بني عبس[3] :

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

فأثبتت الياء في "يأتيك" ، وهي في موضع جزم ؛ لأنّه رآها ساكنة فتركها على سكونها ، كما تفعل بسائر الحروف ، وأنشدني بعض بني حنيفة[4] :

قال لها من تحتها وما استوى ... هُزِّي إليك الجذع يجنيك الجنى

---

(١) طه : ٧٧.

(٢) قرأ حمزة : « لا تخف » بالجزم ، وقرأ باقي السبعة : « لا تخاف » بالرفع.

السبعة ٤٢١، والتبصرة ٥٩٣، والإقناع ٢/٧٠٠، والنشر ٢/٣٢١.

(٣) من الوافر ، لقيس بن زهير العبسي ، في : النوادر ٥٢٣، والمحلى لابن شقير ١٧٩، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢/٣٤٠، وتحصيل عين الذهب ٤٨٥، والخزانة ٨/٣٦١، ٣٦٥.

وغير منسوب في : الكتاب ٣/٣١٦، والأصول ٣/٤٤٣، والجمل ٤٠٧، والإيضاح في علل النحو ١٠٤، وما يحتمل الشعر من الضرورة ٦٧، وكتاب الشعر ١/٢٠٤، والعضديات ٥٣، والحلبيات ٨٥، وسر صناعة الإعراب ١/٧٨، ٢/٦٣١. وفيه روي البيت بروايتين لا شاهد فيهما ، هما : « ألم يأتك » ، و« ألا هل أتاك » .

(٤) من الرجز ، عزاه الفراء إلى بعض بني حنفية ، ولم أقف على قائله ، في : تهذيب اللغة "الياءات" ١٥/٦٦٩، وضرائر الشعر ٤٥ ، ولسان العرب "يا" ١٥/٤٩٢.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وكان ينبغي أنْ تقول : "يجنك" . وأنشدني بعضهم في الواو[١] :

هجوت زبّان ثم جئت معتذرًا من سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع

والوجه الثالث : أن يكون الياء صلة لفتحة الشين ، كما قال امرؤ القيس[٢] :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلـــي .....

فهذه الياء ليست بلام الفعل ، هي صلة لكسرة اللام ، كما توصل القوافي بـــإعراب رويّها مثل قول الأعشى[٣] :

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا .....

وقول الآخر[٤] :

أمن أمِّ أوفى دِمنـــة لم تكلمـــي .....»[٥]

---

(١) من البسيط ، عزي إلى أبي عمرو بن العلاء في : نزهة الألباء ٣١، ومعجم الأدباء ١٣١٧/٣. وغير منسوب في : المحلى لابن شقير ١٨٠، وشرح القصائد السبع ٧٨، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٥١، وإعراب القرآن له ٥١/٣، وكتاب الشعر ٢٠٤، والعضديات ٤٣، وسر صناعة الإعراب ٦٣٠/٢، والمنصف ١١٥/٢، وشرح عيون الإعراب ١٤٦، وأمالي ابن الشجري ١٢٨/١، والممتع في التصريف ٥٣٧/٢.

(٢) من الطويل ، وعجزه :

..... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

في : ديوانه ١٨، وخزانة الأدب ٣٢٦/٢.

(٣) من البسيط ، وعجزه :

..... واحتلّت الغَمْرَ فالجدين فالفَرعا

في : ديوانه ١٣٧.

(٤) من الطويل ، لزهير بن أبي سلمى ، وعجزه :

..... بحومانـــة الـــدّرّاج فـــالمتثلم

في : ديوانه ٩.

(٥) معاني القرآن ١٦١/١-١٦٢، وينظر : ١٨٧/٢-١٨٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

اختلف النحويون في توجيه قراءة حمزة : « لا تخفْ دركًا ولا تخشى » بجزم "تخـــف" وإثبات الألف في "تخشى" ؛ إذ لهم في وجه إثبات الألف في "تخشى" مع جزم ما قبله أربعـــة أقوال ، ذكر الفراء ثلاثة منها :

توجيه الفراء الأول :

أن يكون الفعل مرفوعًا على الاستئناف ، والتقدير : "وأنت لا تخشى"[١] .

وهذا التوجيه اختاره النحاس[٢] وابن عصفور[٣] وغيرهما[٤] ، واقتصر عليه مكـــي[٥] والواحدي[٦] ، وجوّزه ابن الأنباري[٧] والسيرافي[٨] والفارسي[٩] وكثير من النحويين[١٠].

توجيه الفراء الثاني :

أن يكون الفعل "يخشى" مجزومًا ، و لم تحذف ألفه على لغة بعض العرب الذين يجرون الفعل المعتل مجرى الفعل الصحيح في الإعراب ، واستدل الفراء لهذه اللغة التي ذكرها بقـــول

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥/٢٣٩.

(٢) إعراب القرآن ٣/٥١.

(٣) شرح جمل الزجاجي ٢/١٨٨.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : إعراب القرآن المنسوب لقوام السنة ٢٣٤، وغرائب التفسير ١/١٨٤٦، والموضح ٢/٨٤٦، وغرائب القرآن ٤/٥٦٢-٥٦٣.

(٥) الكشف ٢/١٠٢.

(٦) الوسيط ٣/٢١٦.

(٧) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٧٦٩.

(٨) ما يحتمل الشعر من الضرورة ٧٠.

(٩) الحجة ٥/٢٣٩.

(١٠) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : جامع البيان ١٦/١٩٢، وإعراب القراءات السبع ٢/٤٦، والتبيان في تفسير القرآن ٧/١٩٢، والكشاف ٢/٥٤٧، والتفسير الكبير ٢٢/٩٢، والفريد ٣/٤٥٢، وإبراز المعاني ٥٩٥، وأنوار التنزيل ٥/٦٤٤، والبحر ٦/٢٦٤، والدر ٨/٨٢، وروح المعاني ٨/٥٤٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

وقول الشاعر :

هجوت زبّان ثم جئت معتذرًا من سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع

وهذا التوجيه جوّزه الطبري(١) وابن الأنباري(٢) والزمخشري(٣) وأبو حيان(٤) وغيرهم(٥).

وقد ردّ النحاس ما ذهب إليه الفراء ومن تابعه من وجوه :

١ــ أنّ من أقبح الغلط أنْ يحمل كتاب الله جل وعز على شذوذ من الشعر .

٢ــ أنّ ما استشهد به الفراء من الشعر لا يشبه الآية ؛ لأنّ الواو والياء مخالفتان للألف لتحركهما، فللشاعر عند الضرورة أن يقدّرهما متحركتين ، ثم يحذف الحركة للجزم، وهذا محال في الألف . وقد تابع ابن عصفور النحاس في ذلك(٦).

٣ــ أنّ البيتين اللذين استشهد بهما الفراء ، وهما قوله : "ألم يأتيك" ، وقوله : "لم تهجو ولم تدع" ليس فيهما اضطرار يوجب بقاء حرف العلة ؛ لأنهما إذا رويا بحذف الواو والياء كانا وزنًا صحيحًا من البسيط والوافر(٧).

وقد ردّ الفارسي أيضًا توجيه الفراء ؛ لأنّ بقاء حرف العلة مع الجازم إنّما يجيء في

---

(١) جامع البيان ١٦/١٩٢.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٧٦٩.

(٣) الكشاف ٢/٥٤٧.

(٤) البحر ٦/٢٦٤.

(٥) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التفسير الكبير ٢٢/٩٢، والتبيان ٢/٨٩٩، والفريد ٣/٤٥٢، والدر ٨/٨٢.

(٦) شرح جمل الزجاجي ٢/١٨٨، والممتع في التصريف ٢/٥٣٨.

(٧) إعراب القرآن ٣/٥١.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ضرورة الشعر[١].

وما تقدم يوجب التوقف عند أمرين :

١ــ أنّ النحويين اختلفوا في إبقاء حرف العلة مع وجود الجازم في الفعل المضارع ، ولهم في ذلك مذهبان :

المذهب الأول : أنّه لغة لبعض العرب ، يجرون الفعل المعتل الآخر مجرى الصحيح في الإعراب ، وناقلو هذه اللغة فريقان :

الأول : جعلها في الأحرف الثلاثة : الواو ، والياء ، والألف. ومنهم الفراء وابن الأنباري وابن مالك[٢] وغيرهم ممن حمل قراءة حمزة : « لا تخف دركًا ولا تخشى » على هذه اللغة.

الثاني : خصّها بالواو والياء دون الألف ، ومنهم الزجاجي[٣] وابن أبي الربيع[٤] (ت ٦٨٨هـ) .

---

(١) الحجة ٥/٢٣٩-٢٤٠.

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح ٧٣-٧٤. وفي التسهيل ذهب إلى أنّ إجراء الفعل المعتل مجرى الصحيح في الإعراب ضرورة ، لكنه قال بعد : « وربما قدر جزم الياء في السعة ». التسهيل ١١.
ومثّل لذلك في الشرح بقراءة قنبل : « إنّه من يتقي ويصبر » [يوسف : من الآية ٩٠، والقراءة في السبعة ٣٥١].
شرح التسهيل ١/٥٨. ويرى الجوجري أنّ ابن مالك بقوله : « وربما قدر جزم ... » يشير إلى لغة من يجري الفعل المعتل مجرى الصحيح. شرح شذور الذهب ١/٢١٣.

(٣) الجمل ٤٠٦-٤٠٧. وقد خطّأ البطليوسي الزجاجي في جعله هنا إجراء الفعل المعتل مجرى الصحيح في الإعراب لغة؛ لأنّه قبلاً جعل إلحاق المعتل بالصحيح في باب ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر . الحلل ٣٩٢.
وذهب ابن الضائع إلى أنّ الزجاجي يريد بقوله : «لغة» لغة الشعراء على مذهب الأخفش في الضرورة . شرح جمل الزجاجي ٢/٩٧٢-٩٧٣.
والذي يظهر لي أنّه يرى أنّها لغة لقوله في الإيضاح في علل النحو : « وهي لغة للعرب مشهورة متفق على حكايتها » . ص١٠٤.

(٤) الكافي في الإفصاح ٢/٢٦٢-٢٦٣.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

والنحاس الذي أنكر على الفراء حمله القراءة والأبيات التي أوردها على هذه اللغة ذهب في كتاب آخر له إلى ما ذهب إليه الفراء ، فأثبت اللغة ، وحمل القراءة والأبيات عليها[١].

وممن أنكر هذه اللغة البطليوسي[٢] (ت ٥٢١هـ) وابن خروف[٣] (ت ٦٠٩هـ) والصفار[٤] (ت بعد ٦٣٠هـ).

المذهب الثاني : أنّ ذلك جائز في ضرورة الشعر ، وإلى هذا ذهب سيبويه[٥] والأخفش الصغير[٦] وابن السراج[٧] والسيرافي[٨] وكثير من النحويين[٩].

واختلف بعض أصحاب هذا المذهب فيما حذفه الجازم ، ولهم فيه ثلاثة مذاهب :

الأول : أنّ المحذوف الضمة الظاهرة على الواو والياء ؛ لأنّهما قد جاءا مضمومين ضمة ظاهرة في الشعر.

---

(١) شرح أبيات سيبويه ٥١-٥٣.

(٢) الحلل ٣٩٢.

(٣) تنقيح الألباب ٣٩٥.

(٤) خزانة الأدب ٣٦١/٨.

(٥) الكتاب ٣١٦/٣.

(٦) النوادر ٥٢٤.

(٧) الأصول ٤٤٣/٣-٤٤٤.

(٨) شرح السيرافي ١٣٧/٤ب ، وما يحتمل الشعر من الضرورة ٦٨.

(٩) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : كتاب الشعر ٢٠٤-٢٠٦، والمسائل العسكرية ٢٦٢-٢٦٣، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٣٤٠/١-٣٤١، وسر صناعة الإعراب ٦٣٠/٢-٦٣١، وما يجوز للشاعر في الضرورة ١٣٣-١٣٤، وشرح عيون الإعراب ١٤٦-١٤٧، والإفصاح ١٧٠-١٧١، وأمالي ابن الشجري ١٢٨/١-١٢٩، وتنقيح الألباب ٣٩٥، وشرح الإيضاح للعكبري ١٩٣/١-١٩٦، والتخمير ٤٢٧/٤، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٥٦٣/٢-٥٦٤، وضرائر الشعر ٤٥-٤٦، ولباب الإعراب ١٥٧-١٥٨، وشرح ألفية ابن معط لابن القواس ٣٥٨/١-٣٦٠، وتوضيح المقاصد والمسالك ٣٥١/١-٣٥٢، وشفاء العليل ١٢٧/١-١٢٨، وتعليق الفرائد ١٧٥/١-١٧٧، وهمع الهوامع ١٧٨/١-١٧٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

وممن ذهب إلى ذلك الأخفش الصغير وابن السراج والسيرافي والفارسي ، وصحّحه ابن عصفور.

وذكر السيرافي وابن عصفور أنّ من ذهب إلى ذلك أجازه في الياء والواو دون الألف.

وأمّا نحو قراءة حمزة : « لا تخف دركًا ولا تخشى » وقول الشاعر[١] :

إذا العجوز غضبت فطلّق ولا ترضّاها ولا تملّق

فلا حجة فيه على من منعه في الألف ؛ إذ « ولا تخشى » محمول على الاستئناف ، و« لا ترضّاها » الألف فيه للإشباع ، وأمّا ألف الأصل فمحذوفة[٢].

وخالف الفارسي ما ذهب إليه السيرافي وابن عصفور ؛ فإنّه ذهب إلى أنّ المحذوف هو الضمة الظاهرة ، ومع ذلك أجاز إثبات الألف في الضرورة ؛ لأنّها شبهت بالياء هنا كما شبهت الياء بها في الإسكان في موضع النصب[٣] ، وقد تبع الفارسي جماعة من النحويين[٤].

الثاني : أنّ المحذوف الضمة المقدرة ، وهذا المذهب ذكره السيرافي[٥] وجماعة[٦] ، ومن

---

(١) من الرجز ، لرؤبة بن العجاج ، في : ملحقات ديوانه ١٧٩، وخزانة الأدب ٨/٣٥٩، والمقاصد النحوية ١/٢٣٦.

وغير منسوب في : كتاب الشعر ١/٢٠٥، والمسائل العسكرية ٢٦٤، وسر صناعة الإعراب ١/٧٨، والمنصف ٢/١١٥، والفوائد والقواعد ٥١٠، وشرح عيون الإعراب ١٤٧، وأمالي ابن الشجري ١/١٢٩، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٨٨، ٥٦٤، والتذييل والتكميل ١/٢٠٧.

وذكر ابن جني في سر صناعة الإعراب أنّ بعضهم رواه : « ولا ترضّها » ، ولا شاهد فيها.

(٢) شرح جمل الزجاجي ٢/١٨٨.

(٣) كتاب الشعر ١/٢٠٥، والحلبيات ٨٥-٨٦، والمسائل العسكرية ٢٦٤.

(٤) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : سر صناعة الإعراب ٢/٦٣٠-٦٣١، والمنصف ٢/١١٥-١١٦، والإفصاح ١٧٠-١٧١، وأمالي ابن الشجري ١/١٢٨-١٢٩.

(٥) ما يحتمل الشعر من الضرورة ٦٨.

(٦) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٨٨، ٥٦٤، والتذييل والتكميل ١/٢٠٧، وهمع الهوامع ١/١٧٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ذهب إلى ذلك أجازه في الياء والواو والألف.

وردّ ابن عصفور هذا القول ؛ إذ لو حذف الجازم الحركة المقدرة في الألف لوجب أن يعود حرف العلة إلى أصله ، فيقال : "لم يخشيْ" ؛ لأنّ انقلاب الياء ألفًا إنّما كان لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فلَمّا لم يصححوها في الجزم دلّ ذلك على أنّهم لم يحذفوا الحركة المقدرة[١].

الثالث : أنّ الجازم حذف حروف العلة التي هي من الفعل نفسه وتحذف عند دخوله، وما في الفعل من حروف علة هي حروف إشباع تولدت عن الحركات التي قبلها[٢].

والذي يظهر لي أنّ إقرار حرف العلة في الفعل المضارع مع وجود الجازم لغة لبعض العرب ؛ لأنّ الفراء والزجاجي وجماعة من النحويين نقلوها عنهم.

٢ــ ذكر النحاس في ردّه على الفراء أنّ الأبيات التي استشهد بها لا تشبه الآية ؛ لأنّ حرف العلة في الآية الألف ، وحرف العلة في الأبيات التي استشهد بها الياء والواو ، وفيه نظر من وجهين :

١ــ أنّه ورد ما يشبه القراءة ، وهو إقرار الألف مع الجازم ، ومن ذلك قول الشاعر :

إذا العجوز غضبت فطلّق ولا ترضّاها ولا تملّق

٢ــ أنّ جماعة من النحويين ألحقوا الألف بالياء في إقرارها مع الجازم للمشابهة بينهما، وقد سبق بيانه.

توجيه الفراء الثالث :

أن يكون الفعل مجزومًا ، والألف التي فيه ليست المنقلبة عن لام الفعل ، وإنّما هي ناشئة عن إشباع الفتحة كقول الشاعر :

---

(١) ضرائر الشعر ٤٦.

(٢) الإنصاف ١/٣٠، وشرح الإيضاح للعكبري ١/١٩٥، والتذييل والتكميل ١/٢٠٨.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغَمْر فالجدين فالفَرَعا

ويبدو لي أنّ هذا التوجيه ليس بمنزلة التوجيهين السابقين عند الفراء ؛ لأنّه ذكر التوجيهين السابقين في موضعين من كتابه : أحدهما في سورة البقرة استطرادًا[١] ، والآخر عند حديثه عن الآية في موضعها من السورة[٢] ، أمّا هذا التوجيه فلم يذكره إلا في سورة البقرة.

وهذا التوجيه جوّزه السيرافي[٣] وابن خالويه[٤] والفارسي[٥] والزمخشري[٦] وغيرهم[٧]، وقال عنه أبو حيان : « وهذا تأويل حسن »[٨] .

وضعّفه تاج القراء الكرماني[٩] وابن أبي مريم[١٠] بأنّ الإشباع بابه الشعر .

ويظهر لي أنّ تضعيف هذا القول بأنّ الإشباع بابه الشعر غير مستقيم ؛ فإنّ السيرافي ذكر أنّ العرب يشبهون مقاطع الكلام المسجع بالشعر في زيادة هذه الحروف ، يقول : « وقد شبهوا مقاطع الكلام المسجّع وإنْ لم يكن موزونًا وزن الشعر بالشعر في زيادة هذه الحروف حتى جاء ذلك في أواخر الآي من القرآن كقوله تعالى : ﴿ ﴾[١١] »[١٢].

---

(١) معاني القرآن ١/١٦١-١٦٢.

(٢) معاني القرآن ٢/١٨٧-١٨٨.

(٣) ما يحتمل الشعر من الضرورة ٧٠.

(٤) إعراب القراءات السبع ٢/٤٦-٤٧.

(٥) الحجة ٥/٢٤٠.

(٦) الكشاف ٢/٥٤٧.

(٧) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : التبيان في تفسير القرآن ٧/١٩٢، والتفسير الكبير ٢٢/٩٢، والتبيان ٢/٨٩٩، والفريد ٣/٤٥٣، وإبراز المعاني ٥٩٥، وأنوار التنزيل ٥/٦٤٤، والبحر ٦/٢٦٤، والدر ٨/٨٣، وروح المعاني ٨/٥٤٧.

(٨) التذييل والتكميل ١/٢٠٩.

(٩) غرائب التفسير ١/٧٢٤.

(١٠) الموضح ٢/٨٤٦.

(١١) الأحزاب : من الآية ٦٧.

(١٢) ما يحتمل الشعر من الضرورة ٤٠.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

التوجيه الرابع :

أن يكون الفعل مرفوعًا ، وهو حال من فاعل « لا تخف » على حذف المبتدأ ؛ أي : « وأنت لا تخشى الغرق » ، وإنّما احتيج إلى تقدير المبتدأ ؛ لأنّ المضارع المنفي بـ"لا" كالمثبت في عدم مباشرة الواو له.

وهذا التوجيه جوّزه الرازي[١] (ت ٦٠٦هـ) والمنتجب[٢] وغيرهما[٣].

هذه هي توجيهات القراءة ، وأجدها مقبولة إلا توجيه الفراء الثاني ، وهو أنّ القراءة جاءت على لغة من يجري الفعل المعتل مجرى الصحيح في الإعراب ، فإنّي أجده ضعيفًا من وجهين :

١ـ أنّ ما ذكره قد اختلف فيه النحويون ، وأكثرهم على أنّه ضرورة ، ومتى أمكن حمل القراءة على وجه لا اختلاف فيه فهو أولى.

٢ـ أنّه لو اتفق النحويون على أنّها لغة مروية عن العرب فهي لا تعدو أنْ تكون قليلة ، وحمل القراءة على اللغة المشهورة ـ إذا أمكن ـ أولى[٤].

---

(١) التفسير الكبير ٢٢/٩٣.

(٢) الفريد ٣/٤٥٢.

(٣) ينظر ذلك من خلال كتبهم الآتية : أنوار التنزيل ٥/٦٤٤، والدر ٨/٨٢، وحاشية زاده ٥/٦٤٤، وحاشية الجمل ٣/١٠٤.

(٤) روح المعاني ٨/٥٤٧.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com